الأسباب والمسببات، والمقدمات ونتائجها ، أعمالكم عمالكم، قال تعالى: ﴿**مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا**﴾ [فصلت: ٤٦]، وقال: ﴿**إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لأَنفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا**﴾ [الإسراء: ٧].

وفي الحديث: «**واعمل ما شئت فإنك مجزي به**»، وصحَّ الخبر: «**يا عبادي إنما هي أعمالكم أُحصيها لكم ثم أوفيكم إياها، فمن وجد خيراً فليحمد الله، ومن وجد غير ذلك، فلا يلومن إلاَّ نفسه**» [رواه مسلم].

أتى رجل لأحد العلماء يقول له: إنَّ بني فلان قد تواطأوا عليَّ وصاروا يداً واحدة، فقال: يد الله فوق أيديهم، قال: إنَّ لهم مكرًا، قال: ولا يحيق المكر السيئ إلاَّ بأهله. قال: هم فئة كثيرة، فقال له العالم: كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله.

وأنت تشتهي الخلاص من الكافرين والفاجرين، ثق تمامًا إنَّ مكرهم وبغيهم ونكثهم سيدمرهم تدميراً، فهم في واقع الأمر وحقيقته يهلكون أنفسهم بأنفسهم قبل أن يصل إليهم سلاحك، وما يعود وبال هذه الخصال السيئة إلاَّ

عليهم أنفسهم دون غيرهم، قال تعالى: ﴿ **وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ (٥٤)** ﴾ [آل عمران: ٥٤]، وقال: ﴿ **وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَابِرَ مُجْرِمِيهَا لِيَمْكُرُوا فِيهَا وَمَا يَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنفُسِهِمْ وَمَا يَشْعُرُونَ (١٢٣)** ﴾ [الأنعام: ١٢٣].

وقصَّ علينا القرآن صورة من مكر ثمود بنبيهم صالح، قال تعالى: ﴿ **وَمَكَرُوا مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ (٥٠) فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَّا دَمَّرْنَاهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ(٥١)** ﴾ [النمل: ٥٠، ٥١]، قيل في تفسيرها: وهم لا يشعرون بالملائكة الذين أنزل الله على صالح ليحفظوه من قومه حين دخلوا عليه ليقتلوه، فرموا كل رجل منهم بحجر حتَّى قتلوهم جميعًا وسَلِمَ صالح من مكرهم، وقيل: إنهم مكروا بأن أظهروا سفرًا، وخرجوا فاستتروا في غار؛ ليعودوا في الليل، فيقتلوه، فألقى الله صخرة على باب الغار حتَّى سدَّه، وكان هذا مكر الله بهم.

وقد مكر المشركون برسول الله ﷺ، قال تعالى: ﴿ **وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ (٣٠)** ﴾ [الأنفال: ٣٠]، لقد

أنجى الله نبيه ﷺ وخرج سالمًا من بين ظهرانيهم مهاجرًا إلى المدينة، وقتل صناديدهم يوم بدر، كأبي جهل وعتبة وشيبة ابنا ربيعة، وأدخل الله عليهم الإسلام يوم فتح مكة، ومات ﷺ يوم مات وهو سيد الأولين والآخرين رفع الله له ذكره وأعلى له أثره، وكذلك مكر المنافقون به، قال تعالى عنهم: ﴿ **وَالَّذِينَ يَمْكُرُونَ السَّيِّئَاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَكْرُ أُولَئِكَ هُوَ يَبُورُ** ﴿١٠﴾ ﴾ [فاطر: ١٠].

لقد كان مآل مكرهم الفساد والبطلان، وظهر زيفهم لأولي البصائر والنُّهى، فإنه ما أسر أحد سريرة إلاَّ أبداها الله على صفحات وجهه، وفلتات لسانه، وما أسر أحد سريرة إلاَّ كساه الله ردائها، إن خيرًا فخير، وإن شرًا فشر.

ومكر يهود برسول الله ﷺ ومحاولتهم قتله، وتآمرهم مع المشركين عليه.. كثير معلوم، فكان أن قتل بعضهم وأجلى آخرين، وظهر أمره ﷺ، وقُرب قيام الساعة يُستنطق الحجر والشجر لأمته ﷺ، فيقول الحجر والشجر: يا مسلم، يا عبد الله، هذا يهودي خلفي تعالَ فاقتله إلاَّ الغرقد؛ فإنه من شجر اليهود، ويفتح الله لهذه الأمة بيت المقدس.

فاحذر المكر ولا تنبهر بأهله، فعن قيس بن سعد بن عبادة رضي الله عنهما قال: لولا أني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**المكر والخديعة في النار**» لكنت من أمكر الناس.

[صححه الألباني].

ولا يخفى عليك أنَّ المكر الذي وصف الله به نفسه على ما يليق بجلاله، ومعناه مجازاته للماكرين بأوليائه ورسله، فيقابل مكرهم السيئ بمكرهم الحسنى، فيكون المكر منهم أقبح شيء، ومنه أحسن شيء؛ لأنه عدل ومجازاة، وكذلك المخادعة منه جزاء على مخادعة رسله وأوليائه، فلا أحسن من تلك المخادعة والمكر، وإذا كان المكر السيئ وباله على صاحبه، فكذلك الأمر بالنسبة للبغي، وهو أسرع الجُرم عقوبة.

قالوا: من سل سيف البغي قُتل به، وعلى الباغي تدور الدوائر، والبغي يصرع أهله؛ فالبغي مصرعه وخيم، ومن حفر بئراً لأخيه سقط فيها، فاهجروا البغي فإنه منبوذ.

قال ابن عباس رضي الله عنهما: لو بغى جبل على جبل لجعل الله - عزَّ وجل - الباغي منهما دكًا.

وقال أيضًا: تكلم ملك من الملوك كلمة بغي وهو

جالس على سريره فمسخه الله عز وجل، فما يُدرى أيُّ شيء مُسِخَ؟ أذُباب أم غيره؟ إلاَّ أنه ذهب فلم يُرَ.

وقال عبد الله بن معاوية الهاشميّ : « إنَّ عبد المطلب جمع بنيه عند وفاته، وهم يومئذ عشرة وأمرهم ونهاهم، وقال: إيّاكم والبغي؛ فوالله ما خلق الله عزَّ وجل شيئًا أعجل عقوبة من البغي، ولا رأيت أحداً بقى على البغي إلاَّ إخوتكم من بني عبد شمس».

قال ابن القيم : سبحان الله!، في النفس كبر إبليس، وحسد قابيل، وعتو عاد، وطغيان ثمود، وجرأة نمروذ، واستطالة فرعون، وبغي قارون، وقبح هامان، وهوى بلعام، وحيل أصحاب السبت، وتمرد الوليد، وجهل أبي جهل، وفيها من أخلاق البهائم: حرص الغراب، وشَرَه الكلب، ورعونة الطاووس، ودناءة الجُعل، وعقوق الضب، وحقد الجمل، ووثوب الفهد، وصولة الأسد، وفسق الفأرة، وخبث الحية، وعبث القرد، وجمع النملة، ومكر الثعلب، وخفة الفراش، ونوم الضبع، غير أنَّ الرياضة والمجاهدة تُذهب ذلك.

وقد وردت النصوص تذم البغي بغير الحق قال تعالى: ﴿إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٤٢)﴾ [الشورى: ٤٢]، والبغي هو الاستطالة على الناس، وهو الكبر والظلم والفساد، والعمل بالمعاصي، وهو من الأمور الخمسة التي وردت الشرائع بالنهي عنها، وهي المذكورة في قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: ٣٣]، ويكفي من بُغيَ عليه وعد الله بنصرته، قال تعالى: ﴿ذَلِكَ وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِ ثُمَّ بُغِيَ عَلَيْهِ لَيَنصُرَنَّهُ اللَّهُ﴾ [الحج: ٦٠].

وفي الحديث: «**ما من ذنب أجدر أن يُعجل الله لصاحبه العقوبة في الدنيا مع ما يُدخر له في الآخرة من البغي وقطيعة الرحم**»

[رواه أبو داود والترمذي وقال: حسن صحيح].

وورد: «**ليس شيء أُطيع الله فيه أعجل ثوابًا من صلة الرحم، وليس شيء أعجل عِقابًا من البغي وقطيعة**

الرحم، واليمين الفاجرة تدع الديار بلاقع (أي لا شيء فيها)» [رواه البيهقي وصححه الألباني].

وفي الحديث: «**وإن الله أوحى إليَّ أن تواضعوا حتَّى لا يفجر أحد على أحد ولا يبغي أحد على أحد**» [رواه مسلم].

وانظروا في قصص البغاة قديمًا وحديثًا ستجدون تطابقًا بين صفحات الكون المنظور والكتاب المسطور، فهذا فرعون بغى في الأرض بغير الحق، وادَّعى الربوبية والألوهية، وقال: ﴿**أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَٰذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِن تَحْتِي أَفَلَا تُبْصِرُونَ** ﴿٥١﴾﴾ [الزخرف: ٥١]، وحاول اللحاق بنبيّ الله موسى ومن آمن معه من بني إسرائيل وأتبعهم بجنوده بغيًا وعدوًا، فأطبق عليه البحر وأجراه سبحانه من فوقه جزاءًا وفاقًا، ورآه المصريون جثة منتنة بعد أن كانوا يعبدونه من دون الله ﴿**فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ آيَةً**﴾ [يونس: ٩٢].

وكذلك حكى القرآن قصة بغي قارون، قال تعالى: ﴿**إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ**﴾ [القصص: ٧٦]، وكان من جملة ما نصحه به الناصحون، أن قالوا له: ﴿**وَلَا**

﴿ تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ (٧٧) ﴾ [القصص: ٧٧] فلم يرفع قارون بذلك رأسًا، فأهلكه سبحانه، وانتقل إليه غير مأسوف عليه ﴿ فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الأَرْضَ ﴾ [القصص: ٨١].

إنَّ بغي الأمم الهالكة على الأنبياء والمرسلين فيه عظة وعبرة لأولي الألباب، فقد أخذهم سبحانه أخذ عزيز مقتدر، وسارت الأيام والليالي بقوم نوح وعاد وثمود وقرونًا بين ذلك كثيرًا، فأسلمتهم إلى ربهم وقدمت بهم على أعمالهم ﴿ هَلْ تُحِسُّ مِنْهُم مِّنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا (٩٨) ﴾ [مريم: ٩٨].

تطاول العماليق قوم عاد وقالوا من أشد منّا قوة، فأرسل سبحانه عليهم ريحًا صرصرًا عاتية ﴿ سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَىٰ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ (٧) فَهَلْ تَرَىٰ لَهُم مِّنْ بَاقِيَةٍ (٨) ﴾ [الحاقة: ٧، ٨].

وخرج صاحب يس يُعبّد قومه لله رب العالمين، فقتلوه وبغوا عليه كما صنعوا مع المرسلين، فهانوا على ربهم، قال تعالى: ﴿ وَمَا أَنزَلْنَا عَلَىٰ قَوْمِهِ مِن بَعْدِهِ مِن جُندٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَمَا

﴿ كُنَّا مُنزِلِينَ (٢٨) إِن كَانَتْ إِلاَّ صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ خَامِدُونَ (٢٩) يَا حَسْرَةً عَلَى الْعِبَادِ مَا يَأْتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلاَّ كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ (٣٠) ﴾ [يس: ٢٨ – ٣٠] .

وما قيل في المكر والبغي من تعجيل العقوبة والوبال الذي يعود على صاحبه، يُقال مثله في النكث ونقض العهد والميثاق، يُحكى أن بلعام بن باعوراء، كان مجاب الدعوة، وكان قد أوتي اسم الله الأعظم، الذي إن سُئل به أعطى، وإن دُعيَ به أجاب، فلما قدم نبيّ الله موسى ومن آمن معه، ألحَّ قوم باعوراء عليه حتَّى يدعو على نبيّ الله موسى، ففعل، فتحول لسانه بالدعاء عليه وعلى قومه، وضُرب به مثل السوء، قال تعالى: ﴿ وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ (١٧٥) وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ﴾ [الأعراف: ١٧٥، ١٧٦]، وهذا مثل كل من لم يرفع رأساً بدين الله، وانسلخ من آياته سبحانه، ونقض العهد والميثاق المأخوذ عليه.

وفي عام الحديبية أجحفت قريش برسول الله ﷺ،

ومنعته هو وأصحابه ﷺ من دخول بيت الله الحرام، واشترط سهيل بن عمرو على النَّبيّ ﷺ أن يكتب باسمك اللهم، وأن يكتب اسمه واسم أبيه، بدلاً من كتابة محمد رسول الله ، وأن يرجع عامه هذا، وأن يرد إلى مكة كل من جاءه مسلمًا منها، في الوقت الذي لا يردون من جاءهم مرتداً من المسلمين... إلى غير ذلك من بنود التعسف.

وعلى الرغم من ذلك كان هذا الصلح فتحًا مبينًا للإسلام وأهله، ونزل بشأنه: ﴿ **إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا** ﴾ [الفتح] ، وسعت قريش جاهدة في نقض الصلح الذي أبرمته، ومن قبل كانت المجافاة لمقتضى العقل والفطرة والشريعة المنزلة.

ولما بعث النَّبيّ ﷺ برسالة إلى كسرى فمزّقها، قال النَّبيُّ ﷺ: «**مزَّق الله مُلكه**» [رواه البخاري] وقد كان .

وكان سبب إجلاء بني قينقاع استصراخ مسلمة، تكشف بدنها بسبب يهودي، فقتله مسلم، ثم تمالأ يهود على المسلم، فقتلوه، فثار الحيّان، ونقض يهود للعهود والمواثيق قديمًا وحديثًا معلوم، قال تعالى: ﴿ **وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا**

﴿ وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا ﴿٨﴾ ﴾ [الإسراء : ٨] فما عادوا مرة للإفساد إلاَّ وعاد عليهم ربنا بالإهلاك .

إنَّ من نقض العهد يضر نفسه، حتَّى وإن كان مسلمًا كما أنه يجر على نفسه اللعن لقوله تعالى : ﴿ فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ ﴾ [المائدة : ١٣] .

ومن صفات المنافقين أنَّ أحدهم إذا عاهد غدر، ولذلك كان حال هؤلاء الأشقياء ومصيرهم إلى خلاف ما صار إليه المؤمنون في الدنيا والآخرة .

قال الحافظ ابن حجر : كان عاقبة نقض قريش العهد مع خزاعة حلفاء النَّبي ﷺ أن غزاهم المسلمون حتّى فتحوا مكة واضطروا إلى طلب الأمان، وصاروا بعد العزة والقوة في غاية الوهن، إلى أن دخلوا في الإسلام، وأكثرهم لذلك كاره .

وفي الحديث : «**يا معشر المهاجرين خمس خصال إذا ابتليتم بهنّ وأعوذ بالله أن تدركوهن ... ولم ينقضوا عهد الله وعهد رسوله إلاَّ سلط الله عليهم عدوًا من غيرهم ، فأخذوا ما في أيديهم، وما لم تحكم أئمتهم بكتاب الله ويتخيروا مما أنزل الله إلاَّ جعل الله بأسهم بينهم**» [رواه ابن ماجه والحاكم، وصححه الألباني] .

فمن نكث العهد فإنما يجني على نفسه، وإياها يهلك، فنكثه عليه لا له، والبعض قد يضيق لنكث العهد مكرًا وبغيًا كما قال شداد: إذا رأيت الرجل يعمل بمعصية الله فاعلم أن لها عنده أخوات، وذلك أنَّ المعصية تدل على أختها.

والناظر في فعل الشيوعية العالمية، وما فُعل بها – على سبيل المثال لا الحصر – سيجد شاهداً ونذيراً لهؤلاء الأعداء الذين نقضوا العهد والميثاق مع الخالق والمخلوق، وبغوا في الأرض بغير الحق، ومكروا مكرًا كبازًا، ولا يسعنا إلاَّ أن نردد معهم قول ربنا: ﴿ **وَقُل لِّلَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ اعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنَّا عَـٰمِلُونَ (١٢١) وَانتَظِرُوا إِنَّا مُنتَظِرُونَ (١٢٢) وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الأَمْرُ كُلُّهُ فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ (١٢٣)** ﴾ [هود: ١٢١ – ١٢٣].

اللهم دبّر لنا فإنَّا لا نحسن التدبير، اللهم من أرادنا وأراد المسلمين بسوء فأشغله بنفسه، واجعل كيده في نحره، واجعل تدبيره تدميره يا سميع الدعاء.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

الموالاة والمعاداة

بسم الله، والحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه.

أما بعد :

فلم يسلم مفهوم الولاء والبراء - هذا الجانب العقائدي- من هجمات شرسة، وسهام كثيرة أطلقها أعداء الإسلام والمسلمين رجاء إماتة هذه الأمة والقضاء على دينها ﴿ **وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا** ﴾ [البقرة: ٢١٧] وقد استخدموا في سبيل ذلك كل الوسائل والأساليب، وأعتاها الغزو الفكري لهذه الأمة وركَّزوا على كل القطاعات والفئات، وقد ازدادت ضراوة هذه الحرب حدة ، وكما نجح إبليس لعنه الله في صرف العباد عن واجب الشكر، كذلك نجح أولياؤه في تغيير مفهوم الولاء والبراء عند غالبية المسلمين، والله غالب على أمره ومُتم نوره ولو كره الكافرون.

ونُشاهد هذه الأمة التي تنتسب لدين الله، وهي توالي الشرق تارة، وترتمي في أحضان الغرب تارة أخرى، وتقيم معاهدات الصداقة مع الروس، وجمعيات الصداقة مع الفرنسيين، ويخرج هذا يُنادي بوطنية، وذاك بقوميّة، وأصبحت رايات الفرعونية، والسلام العالمي، والتعايش السلمي، وزمالة الأديان، والشرعية الدولية، والنظام العالمي الواحد... رايات مرفوعة في بلدان المسلمين، وتقطَّعت الأواصر والصلات بين المسلمين بسبب الحدود المصطنعة، ولا تكاد الأمة تُحرك ساكنًا تجاه المذابح التي تعقد للمسلمين في البوسنة والصومال وفلسطين والهند وكشمير وروسيا وبورما والعراق.. وكأن الأمر لا يعنيها، وإن استطعنا شيئًا فعلى سبيل الشجب والاستنكار، وأصبح معيار التعامل والتآخي عند الكثيرين هو معيار الوطن والقبيلة والعشيرة واللطف والظُرف والانضمام للحزب حتَّى وإن كان شيوعيًا.

قال صاحب كتاب «أهمية الجهاد»: فإنَّ الكفار - قاتلهم الله - لم يقتصروا على راية واحدة يرفعونها

للمسلمين بدل إسلامهم، ولم يقتصروا على خطة واحدة، بل كثرت خططهم وشعاراتهم ورياتهم، وذلك من باب تكثير السهام على الفريسة، فإن أخطأها الأول أو العاشر لم يُخطئها العشرون أو الثلاثون.

والذي لا تروق له القومية تجذبه شباك الوطنية أو الإنسانية أو زمالة الأديان أو التعايش السلمي أو الإشتراكية وهكذا دواليك، ولا ينجو منها إلاَّ من اعتصم بالكتاب والسُّنَّة. والوطنية هي تقديس الوطن بحيث يصير الحب فيه والبغض لأجله، والقتال من أجله وإنفاق الأموال من أجله حتَّى يغطي على الدين، وحتَّى تحل الرابطة الوطنية محل الرابطة الدينية، فالوطنيون يحبون أبناء وطنهم، وإن كانوا على غير ملَّتهم أكثر من محبّتهم لمن كانوا على ملَّتهم إذا لم يكونوا في وطنهم، بل قد يصل الأمر بالوطنيين إلى اجتماعهم على محاربة المسلمين مع الكفار؛ لأن الكفار من أبناء وطنهم !! وإذا وصل الحال بالإنسان إلى هذه الدرجة فقد عُبد الوطن من دون الله.

والعصبية للوطن من جنس العصبية للقوم كلها من

دعاوى الجاهلية، والوطنية في العصر الحاضر التي نسمع الدعوة لها في ديار الإسلام، بضاعة مستوردة كغيرها من المستوردات، وما أكثرها، تكتلات كثيرة وروايات عديدة، ومذاهب أرضية ماديّة عفنة أصبحنا نوالي لأجلها، ونُعادي ونُقاتل لأجلها، ونُسالم لأجلها كما صنعنا أيام دعوة القومية العربية، وفي الحديث: «**من قاتل تحت راية عُمّية يغضب لعصبة أو يدعو إلى عصبة أو ينصر عصبة، فقُتل، فقتلته جاهلية**» [رواه مسلم] والعمّية هو الأمر الأعمى الذي لا يستبين وجهه، وقال النبي ﷺ: «**من قاتل لتكون كلمة الله أعلى فهو في سبيل الله**» [رواه مسلم] اهـ.

إن أوجب الواجبات على العباد معرفة التوحيد وما يُنافيه من الشرك، وكما قال صاحب رسالة «الولاء والبراء في الإسلام»: «فإنَّ بعد محبة الله ورسوله تجب محبّة أولياء الله ومعاداة أعدائه، فمن أصول العقيدة الإسلامية أنه يجب على كل مسلم يدين بهذه العقيدة أن يُوالي أهلها، ويُعادي أعداءها، فيحب أهل التوحيد والإخلاص ويواليهم، ويُبغض أهل الإشراك ويُعاديهم، وذلك من ملّة

إبراهيم والذين معه، الذين أمرنا بالاقتداء بهم، حيث يقول سبحانه وتعالى: ﴿ **قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ** ﴾ [الممتحنة: ٤].

وهو من دين محمد ﷺ قال تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٥١﴾** ﴾ [المائدة: ٥١]، وهذه في تحريم موالاة أهل الكتاب خصوصًا.

وقال في تحريم موالاة الكفار عمومًا ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ** ﴾ [الممتحنة: ١].

بل لقد حرَّم الله على المؤمن موالاة الكفار، ولو كانوا من أقرب الناس إليه نسبًا، قال تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا آبَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ إِنِ اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ عَلَى الْإِيمَانِ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٢٣﴾** ﴾ [التوبة: ٢٣]

وقال تعالى: ﴿ لا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ﴾ [المجادلة: ٢٢].

قال: وقد جهل كثير من الناس هذا الأصل العظيم، حتَّى لقد سمعت بعض المنتسبين إلى العلم والدعوة في إذاعة عربية يقول عن النصارى إنهم إخواننا، ويا لها من كلمة خطيرة، وكما أنَّ الله سبحانه حرَّم موالاة الكفار أعداء العقيدة الإسلامية، فقد أوجب سبحانه موالاة المؤمنين ومحبَّتهم، قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ (٥٥) وَمَن يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ (٥٦) ﴾ [المائدة: ٥٥، ٥٦] وقال تعالى: ﴿ مُحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ ﴾ [الفتح: ٢٩].

وقال تعالى: ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾ [الحجرات: ١٠] في الدين والعقيدة وإن تباعدت أنسابهم وأوطانهم وأزمانهم، قال تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ جَاءُوا مِن بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالإِيمَانِ وَلا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلاًّ

﴿ لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٠﴾ ﴾ [الحشر: ١٠] فالمؤمنون من أول الخليقة إلى آخرها مهما تباعدت أوطانهم وامتدت أزمانهم إخوة متحابون يقتدي آخرهم بأولهم ويدعو بعضهم لبعض، ويستغفر بعضهم لبعض» اهـ.

وفي تفسير قوله سبحانه: ﴿ الْأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ ﴿٦٧﴾ ﴾ [الزخرف: ٦٧] قال القرطبي: قوله تعالى: ﴿ الْأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ ﴾ يريد يوم القيامة، ﴿ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ﴾ أي أعداء، يُعادي بعضهم بعضًا، ويلعن بعضهم بعضًا ﴿ إِلَّا الْمُتَّقِينَ ﴾ فإنَّهم أخلاَّء في الدنيا والآخرة، قال معناه ابن عباس ومجاهد وغيرهما.

وحكى النقَّاش: أنَّ هذه الآية نزلت في أُميَّة بن خلف الجُمَحي وعقبة بن مُعيط، كانا خليلين، وكان عقبة يُجالس النَّبي ﷺ، فقالت قريش: قد صبأ عقبة بن أبي معيط، فقال له أُمية: وجهي من وجهك حرام إن لقيت محمداً، ولم تتفل في وجهه، ففعل عقبة ذلك، فنذر النَّبيُّ ﷺ قتله، فقتله يوم بدر صبراً (حبس الإنسان للقتل) وقُتل أُمية في المعركة، وفيهما نزلت هذه الآية.

وذكر الثعلبي رضي الله عنه في هذه الآية قال: كان خليلان مؤمنان وخليلان كافران، فمات أحد المؤمنين، فقال: يا رب، إنَّ فلانًا كان يأمرني بطاعتك، وطاعة رسولك، وكان يأمرني بالخير وينهاني عن الشر، ويُخبرني أني مُلاقيك، يا رب، فلا تُضله بعدي، واهده كما هديتني، وأكرمه كما أكرمتني، فإذا مات خليله المؤمن جمع الله بينهما، فيقول الله تعالى: ليُثنِ كل واحد منكما على صاحبه. فيقول: يا رب، إنه كان يأمرني بطاعتك وطاعة رسولك، ويأمرني بالخير وينهاني عن الشر، ويُخبرني أني ملاقيك، فيقول الله تعالى: ونِعْم الصاحب كان.

قال: ويموت أحد الكافرين، فيقول: يا رب، إنَّ فلانًا كان ينهاني عن طاعتك وطاعة رسولك، ويأمرني بالشر، وينهاني عن الخير ويخبرني أني غير ملاقيك، فأسألك يا رب ألاَّ تَهْدِه بعدي ، وأن تُضله كما أضللتني، وأن تهينه كما أهنتني، فإذا مات خليله الكافر، قال الله تعالى لهما: ليُثْنِ كل واحدٍ منكما على صاحبه، فيقول: يا رب، إنه كان يأمرني بمعصيتك ومعصية رسولك، ويأمرني بالشرِّ

وينهاني عن الخير ويُخبرني أني غير ملاقيك، فأسألك أن تُضاعف عليه العذاب، فيقول الله تعالى: بئس الصاحب والأخ والخليل كنت، فيلعن كل واحد منهما صاحبه.

قلت – أي القرطبي – : والآية عامة في كل مؤمن ومتق وكافر ومُضل. اهـ.

وأنا أذكر لك بحول الله وقوّته أموراً عامة مُجملة ومختصرة تتعلق بمفهوم الولاء والبراء؛ حتَّى تستبين حجم الغربة ومدى الطغيان المادي المعاصر الذي طرأ على هذا الأصل حتَّى صار ليس لله فيه نصيب.

فمن مظاهر موالاة الكفار:

[١] **التَّشبه بهم في الملبس والكلام وغيرها** لقول النَّبي ﷺ: «**من تشبَّه بقوم فهو منهم**» [رواه أحمد وأبو داود].

[٢] **الإقامة في بلادهم وعدم الانتقال منها إلى بلاد المسلمين**، إذا كان يقدر على الهجرة فراراً بدينه؛ لقوله تعالى: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ**

تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا (٩٧) إِلاَّ الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ لا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلا يَهْتَدُونَ سَبِيلاً (٩٨) فَأُولَئِكَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَعْفُوَ عَنْهُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا (٩٩) وَمَنْ يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الأَرْضِ مُرَاغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا (١٠٠) ﴾ [النساء: ٩٧ - ١٠٠] فلم يعذر الله في الإقامة في بلاد الكفار إلاَّ المستضعفين الذين لا يستطيعون الهجرة، وكذلك من كان في إقامته مصلحة دينية كالدعوة إلى الله ونشر الإسلام في بلادهم.

[٣] **السفر إلى بلادهم لغرض النزهة ومتعة النفس**، أما لو سافر لضرورة العلاج أو التجارة أو التعلم للتخصصات النافعة التي لا يمكن الحصول عليها إلاَّ بالسفر إليهم؛ فيجوز بقدر الحاجة، وإذا انتهت الحاجة، وجب الرجوع إلى بلاد المسلمين ولابدَّ أن يكون مُظهرًا لدينه، مُبتعدًا عن مواطن الشرِّ، وكذلك يشرع السفر إلى بلادهم إذا كان لأجل الدعوة إلى الله.

[٤] **إعانتهم ومناصرتهم على المسلمين ومدحهم**، والذب عنهم، وهذه ردة عن الإسلام.

[٥] **الاستعانة بهم والثقة بهم**، وتوليتهم المناصب التي فيها أسرار المسلمين، واتخاذهم بطانة ومستشارين؛ وذلك لقوله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لا يَأْلُونَكُمْ خَبَالاً وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ**﴾ [آل عمران: ١١٨] ومن ذلك قول النبي ﷺ للرجل الذي أراد أن يخرج معه في القتال: «**ارجع فلن أستعين بمشرك**» [رواه مسلم]، وكان ذلك يوم بدر، واعترض عمر على أبي موسى الأشعري لما ولّى كاتبًا نصرانيًا.

[٦] **التأريخ بتاريخهم**، وترك التاريخ الهجري الذي ارتبطت به الأحكام التكليفية، وهذا من جملة التَّشبه بهم، وفيه إحياء لشعائرهم، وإضاعة لأحكام المسلمين.

[٧] **مشاركتهم في أعيادهم** أو مساعدتهم في إقامتها أو تهنئتهم بمناسبتها أو حضور إقامتها؛ أعيادهم من أعظم شعائر دينهم الباطل وهم ودوا لو بذلوا الأموال في سبيل مشاركة المسلمين لهم في أعيادهم، وفي

تفسير قوله سبحانه: ﴿وَالَّذِينَ لا يَشْهَدُونَ الزُّورَ﴾ [الفرقان: ٧٢] قال عمر وغيره: هي أعياد المشركين، ولأن السخطة تتنزل عليهم.

[٨] **مدحهم والإشادة بما هم عليه من المدنية والحضارة** والإعجاب بأخلاقهم ومهاراتهم، دون النظر إلى عقائدهم الباطلة ودينهم الفاسد، وهذا لا يمنعنا من أن نأخذ العلوم النافعة من كل من أفلح فيها، ولنعلم أنَّ ما هم عليه ليس بحضارة؛ لأن الحضارة هي التي تقوم على أساس إقامة العبودية لله في الأرض، والكفار يعلمون ظاهراً من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون.

[٩] **التَّسمي بأسمائهم** وهجران الأسماء الإسلامية.

[١٠] **الاستغفار لهم والتَّرحم عليهم**، وذلك لقوله سبحانه: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَن يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَىٰ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾ [التوبة: ١١٣] وليكن معلوماً أنَّ هذه المظاهر بعضها أشد حرمة من بعض.

ومن مظاهر موالاة المؤمنين:

[١] الهجرة إلى بلاد المسلمين، وهجر بلاد الكفر.

[٢] مناصرة المسلمين ومعاونتهم بالنفس والمال واللسان فيما يحتاجون إليه في دينهم ودنياهم.

[٣] التألم لألمهم والسرور بسرورهم.

[٤] النصح لهم ومحبَّة الخير لهم، وعدم غشهم وخديعتهم.

[٥] احترامهم وتوقيرهم، وعدم تنقصهم وعيبهم .

[٦] أن يكون معهم في حال العسر واليسر والشدة والرخاء.

[٧] زيارتهم ومحبَّة الالتقاء بهم والاجتماع معهم.

[٨] احترام حقوقهم.

[٩] الرفق بضعفائهم .

[١٠] الدعاء لهم والاستغفار لهم.

ودلائل هذه المظاهر كثيرة في كتاب الله وسُنَّة نبيه ﷺ.

ثم من الناس من يُحب محبة خالصة لا معاداة فيها، وهم المؤمنون الخُلَّص من الأنبياء والصديقين والشهداء، ومنهم من يُحب من وجه، ويُبغض من وجه، وهم عصاة

المؤمنين، ومنهم من يُبغض ويُعادى بغضًا ومعاداة خالصين لا محبة ولا موالاة معها، وهم الكفار والمشركين والمنافقين والمرتدين والملحدين على اختلاف أجناسهم، فهؤلاء لا محبة ولا أخوة ولا صداقة ولا مودَّة ولا موالاة بيننا وبينهم. وإن جاز لنا عيادتهم في مرضهم ورحمتهم بالرحمة العامة: كإطعامهم من جوع وسقياهم من عطش ومداواتهم من مرض، إلاَّ لو كان حربيًا، ويجوز التزوج من الكتابية، وأكل ذبائح أهل الكتاب إذا ذبحوا ذبحًا شرعيًا، كما تجوز هديتهم والبيع والشراء معهم، ومجادلتهم بالتي هي أحسن، والعدل واجب حتى مع الكافر، وبهذا المعنى وذاك وردت نصوص الشريعة.

ولابد من الانتباه إلى أن الإنسان إذا تزوج من كتابية لا يجوز له أن يُحب ما هي عليه من دين باطل حتى وإن عاشرها بالمعروف، وكذلك الرجل يُصاحب والديه بالمعروف دون محبة ما هم عليه من شرك، وأما قوله تعالى: ﴿ **لا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ** ﴾

[الممتحنة : ٨] ففيها الأمر بالبر، والبرُّ شيء والمودّة شيء آخر؛ ولذلك فالرحم الكافرة توصل من المال ونحوه، مع بغضنا لما هي عليه من كفر وعدم مودتنا لها.

ولو نظرت نظرة سريعة لنفسك وللدنيا من حولك مع استصحابك لما ذكرناه في قضية مفهوم الولاء والبراء يهولك حجم الضياع، ومدى الهوَّة المادية التي انحدرنا فيها شراً وفساداً، مصداق قوله سبحانه: ﴿ **وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ إِلاَّ تَفْعَلُوهُ تَكُن فِتْنَةٌ فِي الأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ** ﴾

[الأنفال : ٧٣].

قال الحافظ ابن كثير: «ومعنى قوله: ﴿ **إِلاَّ تَفْعَلُوهُ تَكُن فِتْنَةٌ فِي الأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ** ﴾ أي إن لم تجانبوا المشركين وتوالوا المؤمنين، وقعت فتنة في الناس وهو التباس الأمر، واختلاط المؤمنين بالكافرين، فيقع بين الناس فساد منتشر عريض طويل »اهـ.

وهذا ما حصل في هذا الزمان، والله المستعان .

دعوة الحق
لا تموت بموت رائدها

بسم الله، والحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه.

أما بعد :

فقد تعهَّد الله سبحانه بحفظ دينه، فقال: ﴿ **إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ** ﴿٩﴾ ﴾ [الحجر: ٩]، وهذا الحفظ تعدى الكتاب إلى السُّنَّة، ولذلك لما قيل لابن المبارك – رحمه الله –: ما بال هذه الأحاديث الموضوعة، قال: تعيش لها الجهابذة.

وقد حفظ ربنا جلَّ وعلا أيضًا من يقوم بهذا الدين كاملاً غير منقوص، فلا تخلو الأرض من قائم لله بحجة، ويبعث الله على رأس كل مئة عام من يُجدد لهذه الأمة شبابها، ويحمل هذا العلم من كل خلف عدوله ينفون عن دين الله تحريف الغالين، وانتحال المُبطلين وتأويل الجاهلين،

وهذه الأمة شأنها كشأن المطر لا يدرى أوله خير أم آخره خير، ولا يزال الله يغرس فيها غرسًا يستعملهم في طاعته.

وقد ثبتت الأخبار عن الصادق المصدوق ﷺ «**أنه لا تزال طائفة من الأمة ظاهرة على الحق لا يضرهم من خالفهم أو خذلهم حتَّى يأتي أمر الله وهم على ذلك**»، وفي بعض الروايات: «**يُقاتلون على الحق ظاهرين**».

والجهاد ماض في الأمة لن يبطله جور جائر ولا عدل عادل، حتَّى يُقاتل آخر رجل من الأمة المسيح الدجال، ويُخطئ من يظن أنَّ الدعوة إلى الإسلام تموت بموت حاملها أو رائدها، فقد مات عبد الله الغلام - المذكور في قصة أصحاب الأخدود - ونطق الناس وقالوا: آمنا بالله رب الغلام، فكان قتله ومصرعه سببًا في ظهور الحق ودخول الناس في دين الله.

وقصَّة أصحاب الكهف، وصاحب يس، ومؤمن آل فرعون دالة على ذلك، فقد تواصلت دعوتهم مع دعوة الأنبياء والمرسلين، واستمر بهم الأمر رغم أنهم كانوا مغمورين، خلَّد القرآن ذكراهم، وكانوا عظة وعبرة لكل من

جاء بعدهم، بل كانوا دعوة حال حياتهم وبعد مماتهم.

ومن المعلوم أنَّ البشرية قد ابتدأت بنبيّ مُكَلّم وهو نبيّ الله آدم عليه السلام، ثم تتابع الرسل لتعبيد الخلق للحق جلَّ وعلا ﴿ وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلاَّ خَلا فِيهَا نَذِيرٌ (٢٤) ﴾ [فاطر: ٢٤] ، ﴿ رُسُلاً مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ ﴾ [النساء: ١٦٥] .

ويموت الرسل وينهض الأتباع بدعوتهم فيأتي صاحب يس من أقصى المدينة يسعى ﴿ قَالَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ (٢٠) اتَّبِعُوا مَن لاَّ يَسْأَلُكُمْ أَجْرًا وَهُم مُّهْتَدُونَ (٢١) وَمَا لِيَ لا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (٢٢) أَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِ آلِهَةً إِن يُرِدْنِ الرَّحْمَنُ بِضُرٍّ لا تُغْنِ عَنِّي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا وَلا يُنقِذُونِ (٢٣) إِنِّي إِذًا لَّفِي ضَلالٍ مُّبِينٍ (٢٤) إِنِّي آمَنتُ بِرَبِّكُمْ فَاسْمَعُونِ (٢٥) ﴾

[يس: ٢٠ – ٢٥].

أخذوه فقتلوه، فنصحهم ميتًا كما نصحهم حيًا ﴿ قَالَ يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ (٢٦) بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ (٢٧) ﴾ [يس: ٢٦، ٢٧].

ثم لما قتلوه هانوا على ربهم، فدمّرهم تدميراً ﴿ **وَمَا أَنزَلْنَا عَلَىٰ قَوْمِهِ مِنْ بَعْدِهِ مِن جُندٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَمَا كُنَّا مُنزِلِينَ ﴿٢٨﴾ إِن كَانَتْ إِلاَّ صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ خَامِدُونَ ﴿٢٩﴾** ﴾

[يس: ٢٨، ٢٩] .

وكان هلاكهم نصرة لصاحب يس، ﴿ **وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾** ﴾ [الروم: ٤٧] وبقيت كلماته هادية، تدل على طريق الله.

وكم من كلمة عاشت وبقيت حية بموت صاحبها في سبيلها، وربما كانت مغمورة ومهملة حال حياته، شأنها كشأنه، ثم وكأن الكلمات والمواقف تنفخ فيها الروح بعد الوفاة.

فإذا انتقلت إلى أصحاب الكهف وجدتهم آية حال حياتهم وبعد مماتهم، رغم أنهم فتية صغار السن، إلاّ أنهم كانوا هداة مهتدين ﴿ **وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلاَّ هُوَ** ﴾

[المدثر: ٣١].

قصة تبعث حرارة الإيمان في النفوس، وتستحث الكبار

قبل الصغار على مواصلة الطريق، وبذل كل غالي ورخيص في سبيل هذا الدين.

ولما رأى شهداء أُحُد ما أعدَّه ربنا لمن قُتل في سبيله، قالوا: من يُبلّغ عنَّا قومنا أنَّا لقينا ربنا فرضي الله عنَّا ورضينا عنه، فكان هذا البلاغ المبين، الذي يتنهض الهمم:

﴿ **وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ (١٦٩) فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (١٧٠)** ﴾ [آل عمران: ١٦٩، ١٧٠].

وأرواح الشهداء في حواصل طير خضر تسرح من الجنة حيث شاءت، وحياتهم البرزخية أتم وأكمل من حياتنا الدنيوية.

وللشهيد عند الله ستّ خصال، يُغفر له في أول دفعة من دمه، ويُجار من عذاب القبر، ويأمن الفزع الأكبر، ويُحلى حلية الإيمان، ويُزوّج من الحور العين، ويُشفّع في سبعين إنساناً من أقاربه.

وقد وُجد شهداء أُحُد على النحو الذي ماتوا عليه، وذلك بعد أكثر من عشرين سنة من وفاتهم، كما وُجد الغلام بعد مئات السنين - زمن عمر بن الخطاب رضي الله عنه - على النحو الذي مات عليه، يده على صدغه كلما أزاحوها انبثق الدم من جرحه، وهذا من فعل الله بأوليائه، ومن إكرامه لهم، فحياتهم آية، وموتهم آية.

وواهمٌ من يظن أنَّ دعوة الحق تموت بموت حامليها؛ إذ هي دعوة موصولة بالسماء، يمدها سبحانه بمدد من عنده، لا تموت بموت أحد، ولا تحيا بحياته.

ولو ماتت هذه الدعوة لماتت بموت النَّبيّ ﷺ؛ إذ من المعلوم أنه الذي بلّغ الرسالة وأدَّى الأمانة، ونصح الأمة، فتح الله به أعينًا عميًا، وآذانًا صمًا، وقلوبًا غلفًا، هداهم به من الضلالة، وبصرهم به من العمى، فلو كانت حياته ﷺ لازمة لاستمرارية هذه الدعوة لما قبضه الله إليه.

وكانت وفاته ﷺ صدمة وهزَّة عنيفة، ولكن سرعان ما حُسمت بكلمات أبي بكر الصديق رضي الله عنه على المنبر: «من

كان يعبد محمداً، فإن محمداً قد مات، ومن كان يعبد الله، فإن الله حيٌّ لا يموت» .

وتلا قوله تعالى: ﴿ **وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ (١٤٤)** ﴾

[آل عمران: ١٤٤].

وردد قوله تعالى: ﴿ **إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ (٣٠)** ﴾ [الزمر: ٣٠] وكأنهم يسمعونها لأول مرة .

وما دُفن رسول الله ﷺ إلاَّ بعد أن تولى أبو بكر رضي الله عنه الخلافة من بعده، وأنفذ بعث أسامة رضي الله عنه، وقال قولته المشهورة لمن خالفه في ذلك – وكان قد ارتد من ارتد من العرب –: «والله لو جرت الكلاب بأرجل أمهات المؤمنين ما حللت لواءً عقده رسول الله ﷺ» وقال: «أينقص الإسلام وأنا حيّ» .

نعم رائد الدعوة وحاملها له قيمة في نفوس أتباعه، نفتديه ونحميه بما وسعنا من الأسباب، ونتخوف عليه من كل سوء وشر، كما فعل أبو بكر رضي الله عنه مع رسول الله ﷺ يوم الهجرة؛ إذ كان يسير أمام النَّبيّ ﷺ تارة وخلفه تارة

أخرى، يتحول عن يمينه ثم عن شماله، يدخل الغار ويسد شقوقها خشية أن يُصاب النَّبيُّ ﷺ بأذى، ولسان حاله ينطق كما نطق أبو طلحة رضي الله عنه يوم أُحُد: «يا رسول الله، نحري دون نحرك».

فإذا قُدر ومات صاحب الدعوة، فعلينا أن نسترجع، وأن تُقيم واجبَ العبودية ونُحسن المسير إلى الله، كما أحسن، ولا ننقطع، فما أجمل ما قاله أنس بن النضير رضي الله عنه يوم أُحُد: «علام الحياة بعده، قوموا فموتوا على مثل ما مات عليه».

ثم قال: «وآهٍ لريح الجنة، إني لأجد ريح الجنة من دون أُحُد» وكان أنس قد سمع بوفاة رسول الله ﷺ، فتبرأ إلى الله مما جاء به المشركون، واعتذر إليه سبحانه مما فعله أصحابه، وغيّرت كلمة أنس «قوموا فموتوا على مثل ما مات عليه رسول الله ﷺ» منهج حياة.

تولّى عمر الخلافة بعد أبي بكر رضي الله عنهما وكانت خلافة على منهاج النبوة كما أخبر الصادق المصدوق صلوات الله

وسلامه عليه، ثم ما لبث أن طُعن بيد المجوسية الأثيمة، وعلم ابنه عبد الله من أخته أم المؤمنين حفصة رضي الله عنهما أنَّ أباه عمر لن يستخلف، فبات مهمومًا، فلما أصبح دخل عليه، فسأله عمر عن أحوال الناس فأجابه، ثم قال له عبد الله: أرأيت لو كان عندك راعٍ له غنم فتركها وارتحل، أترى أنه قد ضيع، يقول ابن عمر رضي الله عنهما: فأطرق ساعة يُفكر، ثم رفع رأسه وقال: إن أنا استخلفت، فإنَّ أبا بكر قد استخلف، وإن أنا لم أستخلف فإن رسول الله ﷺ لم يستخلف، وإن الله يحفظ دينه.

فهذا الدين هو دين الله، والله غالب على أمره ومُتم نوره ولو كره الكافرون، وأسباب الحفظ وصوره كثيرة وعديدة، ولا تستبعد أن يُستدرج الكفرة لذلك، فإنَّ الله ليؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر، وبأقوام لا خلاق لهم، ومن تتبع كيف ساعد المشركون على نشر هذه الدعوة في بداية الأمر عندما وقفوا على مشارف الطرق، وقابلوا وفود الحجيج يُحذرون من رسول الله ﷺ ... فكان صدهم وتنفيرهم سببًا في دخول الناس في دين الله، وهذا من عجائب التدبير.

ومن تأمل كيف تربَّى نبيُّ الله موسى عليه السلام في قصر فرعون، وعلى سريره، وأكله من طعامه، ثم كانت هلكة فرعون على يد نبي الله موسى عليه السلام، لعلم أنَّه لا ينفع حذر من قدر، وأن كيد الكفار دائمًا يرتد إلى نحورهم، وأن تدبيرهم تدميرهم.

ولا تستبعد أن يكون قتل حامل الدعوة سببًا في إيقاظ الهمم، وتحمل الجميع للمسئولية، وغليان روح الإيمان في النفوس، الأمر الذي تستأصل به شأفة الكفرة الظلمة، فالدماء الطيبة لا تذهب هدرًا، وما علينا إلاّ أن نثق في وعد الله، وأن نعلم أنَّ النصر من عندنا، فالأمر إن لم يكن بنا فبغيرنا ﴿ **وَإِن تَتَوَلَّوْاْ يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ** ﴾ [محمد : ٣٨] والمستقبل للإسلام بغلبته وظهوره على الأديان كلها، بإذن الله تعالى.

ستعود خلافة على منهاج النبوة بعد الملك العاض والجبرية، وسيتم فتح بيت المقدس، وستنتصر هذه الأمة على الروم، وسيُقاتل المسلمون اليهود، ويختبئ اليهودي من وراء الحجر والشجر، فيقول الحجر والشجر: يا مسلم، يا

عبد الله، هذا يهودي خلفي تعالَ فاقتله، إلاَّ الغرقد فإنه من شجر اليهود، سيظهر المهدي يصلحه ربنا في ليلة، يملأ الأرض عدلاً بعد أن مُلئت ظلمًا وجورًا، وينزل المسيح عليه السلام من السماء حكمًا عدلاً مُقسطًا يكسر الصليب، ويقتل الخنزير ويضع الجزية، ويحكم بحكم الإسلام...

كل ذلك وغيره يحدث كما أخبر الصادق المصدوق صلوات الله وسلامه عليه، فلمَ اليأس ﴿ **إِنَّهُ لا يَيْأَسُ مِن رَّوْحِ اللَّهِ إِلاَّ الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ** (٨٧) ﴾ [يوسف: ٨٧].

إنَّ هذا الأمر سيبلغ منتهاه بعز عزيز أو بذل ذليل، عزًا يُعز الله به الإسلام، وذلاً يُذل به الكفر، فابذلوا وسعكم وأنيبوا إلى ربكم، واصبروا وصابروا ورابطوا، واتقوا الله لعلّكم تُفلحون فما عنده سبحانه من نصر وعز وتمكين وخير وبركة لا ننالُه إلاَّ بطاعتنا له ﴿ **وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ** (٤) **بِنَصْرِ اللَّهِ يَنصُرُ مَن يَشَاءُ** ﴾ [الروم: ٤، ٥].

اللهم مَكِّن لدينك في الأرض، وافتح له قلوب الناس.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

الوصية بالأشهر العربية

بسم الله، والحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه.

أما بعد:

فغربة الأشهر العربية عند المسلمين هي من مظاهر غربة الإسلام وسط أهله وبنيه، فقلما تجد من يحصيها ويعرفها، أو تعرّف على وظائف أيامها وأحكامها، وبينما تجد الجميع يعرف شهر مارس وإبريل تلمس الجهالة المطبقة بشهر ذي القعدة وشهر ذي الحجة.

ولا شك أنَّ الجهل بالأشهر العربية، وشيوع استخدام الأشهر التي تعتبرها العجم والروم والقبط، قد أوقع المسلمين في كثير من المخالفات الشرعية؛ حيث أطلّت البدع برأسها، وهجر الناس الكثير من الطاعات والقربات بسبب ذلك؛ لذا كان لابد من القيام لله بحقه، نصحًا وبيانًا ﴿ذَلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى الْقُلُوبِ (٣٢)﴾

[الحج: ٣٢]، وقد أُمر نبيّ الله موسى عليه السلام أن يُذكّر بني إسرائيل بأيام الله، وما ارتبط بها من أحكام وعظات وعبر، قال سبحانه: ﴿ **وَذَكِّرْهُم بِأَيَّامِ اللَّهِ** ﴾ [إبراهيم: ٥]، ولنا فيه أسوة حسنة وقدوة طيبة ﴿ **أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ** ﴾ [الأنعام: ٩٠].

والوصية بالأشهر العربية، هي من الوصية بتقوى الله تعالى التي أمر بها الأولين والآخرين ﴿ **وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ اتَّقُوا اللَّهَ** ﴾ [النساء: ١٣١]، وهذه الأشهر هي على التوالي: «المحرم، صفر، ربيع الأول، ربيع الثاني، جمادى الأولى، جمادى الثانية، رجب، شعبان، رمضان، شوال، ذو القعدة، ذو الحجة».

قال تعالى: ﴿ **إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِندَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ** ﴾ [التوبة: ٣٦] قال القرطبي: «هذه الآية تدل على أنَّ الواجب تعليق الأحكام من العبادات وغيرها إنما يكون بالشهور والسنين التي تعرفها العرب، دون الشهور التي تعتبرها العجم والروم والقبط، وإن لم تزد على اثنى عشر شهراً؛ لأنها مختلفة الأعداد، منها ما

يزيد على ثلاثين، ومنها ما ينقص، وشهور العرب لا تزيد على ثلاثين، وإن كان منها ما ينقص، والذي ينقص ليس يتعين له شهر، وإنما تفاوتها في النقصان والتمام على حسب اختلاف سير القمر في البروج» اهـ.

والشهر العربي يثبت برؤية الهلال أو إكمال عدة الشهر السابق ثلاثين يومًا؛ لحديث أبي هريرة رضي الله عنه أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال: «**صوموا لرؤيته وأفطروا لرؤيته، فإن غمَّ عليكم فأكملوا عدة شعبان ثلاثين يومًا**» [رواه البخاري ومسلم].

وقد ثبت العمل بالهلال وترتب الأحكام عليه بقوله تعالى: ﴿**يَسْأَلُونَكَ عَنِ الأَهِلَّةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ**﴾ [البقرة: ١٨٩]، فأخبر سبحانه أنها مواقيت للناس، وهذا عامٌّ في جميع أمورهم، وخصّ الحج بالذكر تمييزًا له؛ ولأنَّ الحج تشهده الملائكة وغيرهم، ولأنه يكون في آخر شهور الحول، فيكون عَلَمًا على الحول، كما أنَّ الهلال عَلَم على الشهر.

أما الشمس فلم يعلق لنا بها حساب شهر ولا سنة، وإنما

علّق ذلك بالهلال، فالشهر هلالي بالاضطرار ويُسن عند رؤية الهلال أو العلم به أن نقول: «**الله أكبر، اللهم أهله علينا بالأمن والإيمان، والسلامة والإسلام، والتوفيق لما تُحب وترضى، ربنا وربك الله**» [رواه الدارمي بسند صحيح].

واليوم أوله من طلوع الفجر الصادق إلى غروب الشمس، أما الليل فمن غروب الشمس إلى طلوع الفجر، ولم تكن الأمة تعمل في دخول الشهر وخروجه، وتحديد الليل والنهار، أو في معرفة وقت الفجر وغيره بالحسابات الفلكية، وقد وردت النصوص الشرعية بتحديد كل وقت على حده، ومن ذلك ما رواه مسلم «**لا يغرنكم من سحوركم أذان بلال ولا بياض الأفق المستطيل هكذا حتَّى يستطير هكذا**» ويستطير أي ينتشر ضوؤه ويعترض في الأفق بخلاف المستطيل الذي يظهر ثم يختفي.

وقد أوضح العلماء أنَّ العمل في رؤية هلال الصوم أو الحج أو العدة أو الإيلاء أو غير ذلك من الأحكام المعلقة بالهلال، لا يصح التعويل فيها على الحسابات، وهذا بالنص والإجماع، وعلى ذلك جرى العمل في قرون الخيرية الثلاثة،

وما ذهب إليه بعض المتأخرين من جواز العمل بالحساب إذا غمَّ الهلال وفي حق نفس الحاسب فقط، فهو قول شاذ مسبوق بالإجماع على خلافه، ولو صحَّ هذا القول – وهو غير صحيح – فيحمل على الإغمام ويختص بالحاسب، أي أنه لا يجوز تعميمه أو إطلاقه على عواهنه.

يقول ابن تيمية – رحمه الله – : «والمعتمد على الحساب في الهلال، كما أنّه ضال في الشريعة، مبتدع في الدين، فهو مخطئ في العقل وعلم الحساب ، فإنَّ العلماء بالهيئة يعرفون أنَّ الرؤية لا تنضبط بأمر حسابي.. ولهذا تنازع أهل الحساب في قوس الرؤية تنازعًا مضطربًا، وأئمتهم كبطليموس لم يتكلموا في ذلك بحرف؛ لأنَّ ذلك لا يقوم عليه دليل حسابي..» اهـ.

وقال الشيخ ابن باز – رحمه الله – : «... أما توحيد التقويم بالحساب فلا مانع أن يعتمد عليه في المسائل الإدارية ونحوها، وللإيضاح والنصيحة وبراءة الذمة رأيت نشر هذا البيان» وكان قد أوضح – رحمه الله – أنَّ إثبات الأهلة والأحكام الشرعية إنما يكون بالرؤية أو إكمال العدد.

ومن هنا تُدرك خطأ تعليق الأحكام الشرعية على الحساب وولادة القمر واختراع التلسكوب والقمر الصناعي، فإنَّ مدار الأمر على ثبوت الرؤية بالعين البصرية، وقد اتفق العلماء على أنَّ من رأى النَّبيَّ ﷺ في منامه، فقال له هذا اليوم هو أول يوم من رمضان، أنه لا يعمل بهذه الرؤية المنامية؛ إذْ مدار الأمر على ما ذكرنا، والواجب علينا أن ندور مع إسلامنا حيث دار، ولهذا ما زال العلماء يعدون من خرج عن ذلك إلى الأخذ بالحساب أو الكتاب، كالجداول وحساب التقويم والتعديل... قد أدخل في الإسلام ما ليس منه، فيُقابلون هذه الأقوال بالإنكار الذي يُقابل به أهل البدع، وحسبك أن تكتفي بما أغناك الله وبيّنه لك.

لقد تفنن الأعداء وأذنابهم في تنفير المسلمين من كل شيء له علاقة بالدين كاللغة العربية والأشهر العربية، واستخدموا في ذلك كل أساليب الغزو الفكري، حتَّى وصل بنا الحال إلى أن أصبحنا نُضاهي الغرب في كل شيء حتَّى في شهوره، وما ارتبط بها من بدع وانحرافات.

والثابت أنَّ الشرائع قبلنا إنما علقت الأحكام بالأهلة،

وإنما بدل من بدل من أتباعهم، كما يفعله اليهود في جعل بعض الأعياد بالسنة الشمسية، وكما تفعله النصارى في صومها وأعيادها.

وما جاءت به الشريعة هو أكمل الأمور وأحسنها وأبينها وأصحها وأبعدها من الاضطراب، فلا يجوز بعد ذلك أن نستبدل الذي هو أدنى بالذي هو خير، وإذا كان تبديل شهر عربي مكان آخر يُذم به فاعله كمن بدّل صفر مكان رجب، ورجب مكان صفر، فكيف بمن ترك العمل بالأشهر العربية جملة وتفصيلا، واستبدلها بالأشهر الميلادية أو الإفرنجية، قال تعالى: ﴿ **إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ يُضَلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُحِلُّونَهُ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُ عَامًا لِّيُوَاطِئُوا عِدَّةَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ فَيُحِلُّوا مَا حَرَّمَ اللَّهُ زُيِّنَ لَهُمْ سُوءُ أَعْمَالِهِمْ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ (٣٧)** ﴾ [التوبة: ٣٧].

قال ابن كثير - رحمه الله -: «هذا مما ذمَّ الله به المشركين من تصرفهم في شرع الله بآرائهم الفاسدة، وتغييرهم أحكام الله بأهوائهم الباردة وتحليلهم ما حرَّم الله، وتحريمهم ما أحل الله..» اهـ.

والنسيء المذموم هو تأخيرهم شهر المحرم إلى صفر لحاجتهم إلى شن الغارات، وطلب الثأر على نحو ما ذكره ابن إسحاق ، أو هو تأخيرهم الحج عن وقته تحريًا منهم للسنة الشمسية.

وقد حجَّ النَّبيّ ﷺ حجة الوداع بعد أن استدار الزمان، ووقعت حجته ﷺ في ذي الحجة، فقال في خطبته المشهورة في الصحيحين وغيرهما: «**إنَّ الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض، السنة اثنا عشر شهراً منها أربعة حرم، ثلاثة متواليات: ذو القعدة، وذو الحجة، ومحرم ، ورجب مضر الذي بين جمادى وشعبان**».

يقول ابن تيمية – رحمه الله – : « ومن عرف ما دخل على أهل الكتابين والصابئين والمجوس، وغيرهم في أعيادهم وعباداتهم وتواريخهم، وغير ذلك من أمورهم من الاضطراب والحرج، وغير ذلك من المفاسد، ازداد شكره على نعمة الإسلام مع اتفاقهم أنَّ الأنبياء لم يشرعوا شيئًا من ذلك، وإنما دخل عليهم ذلك من جهة المتفلسفة الصابئة الذين أدخلوا في ملتهم وشرعوا لهم من الدين ما لم يأذن

به الله، فلهذا ذكرنا ما ذكرنا حفظًا لهذا الدين عن إدخال المفسدين، فإنَّ هذا مما يخاف تغييره، فإنه قد كانت العرب في جاهليتها قد غيّرت ملة إبراهيم بالنسيء الذي ابتدعته..» اهـ.

وقد اعتبر العلماء أنَّ من جملة مظاهر موالاة الكافرين التأريخ بتاريخهم، خصوصًا التاريخ الذي يعبر عن طقوسهم وأعيادهم كالتاريخ الميلادي، والذي هو عبارة عن ذكرى مولد المسيح عليه السلام، والذي ابتدعوه من أنفسهم، وليس هو من دين المسيح، فاستعمال هذا التاريخ فيه مشاركة في إحياء شعائرهم وأعيادهم، وإقامة الملة الحنيفية تقتضي مخالفة المشركين وسائر أصناف الجحيم وعدم التشبه بهم؛ لقول النَّبيّ ﷺ: «**من تشبَّه بقوم فهو منهم**»، وتشابه الظواهر قد يجر إلى تشابه البواطن؛ ولذلك فالخطر عظيم في متابعتهم في أشهرهم الإفرنجية وترك الأشهر العربية.

وقد ابتدأ عمر رضي الله عنه التاريخ الهجري، وذلك باتفاق

الصحابة رضي الله عنهم بالعام الذي هاجر فيه رسول الله ﷺ، وبشهر الله المحرم، وقد فعلوا ذلك مع معرفتهم بتواريخ الفرس والروم، فخالفوها عن عمد.

وكل خير في اتباع من سلف

وكل شر في ابتداع من خلف

وما لم يكن يومئذ دينًا فليس باليوم دينًا، ولن يصلح آخر هذه الأمة إلاَّ بما صلح به أولها، كما قال الإمام مالك – رحمه الله –.

وقد حذر العلماء من الرقي بالأعجمية وبالكلمات الشركية والغير مفهومة، فقد تنطوي على مخالفات شرعية، ونفس الأمر يُقال في الأشهر الإفرنجية، فشهر إبريل (نيسان) وهو الشهر الرابع من السنة الإفرنجية، كان يمثل مطلع الربيع وكان الرومان قد خصصوا اليوم الأول من هذا الشهر لاحتفالات «فينوز» وهي آلهة الحب والجمال وملكة المرح والضحك والسعادة عندهم، وأما الأقوام الساكسونية، فكانت تحتفل في هذا الشهر بعيد إلهتهم «إيستر»، وهي

إحدى آلهتهم القديمة وهو الاسم الذي يُطلق عليه الآن «عيد الفصح» عند النصارى في اللغة الإنجليزية، وقد اقترن بهذا الشهر ما يُسمى بكذبة إبريل!! .

وعامة الأشهر الميلادية لا تقل في فساد معناها عن شهر إبريل، فمن أراد اليوم أن يتكلم بشهر مارس وإبريل، فليس له أن يتناسى شهر رجب وذي القعدة، وعليه أن يحذر المعاني الفاسدة الموجودة في الأشهر الإفرنجية ويحذر منها الناس.

وقد سُئل الإمام أحمد، فقيل له: إنَّ للفرس أيامًا وشهوراً يسمونها بأسماء لا تعرف، فكره ذلك أشد الكراهة، ورويَ عن مجاهد أنه كان يكره أن يُقال: آذارماه.

وورد في الخبر: «**من يُحسن أن يتكلم بالعربية فلا يتكلم بالعجمية؛ فإنه يورث النفاق**» وكان عمر رضي الله عنه ينهى عن الرطانة مطلقاً، ومنع الشافعي من التكلم بغير العربية.

فالعمل بالأشهر العربية مسئوليتنا جميعًا، وعلى الدعاة

بصفة أخص أن يشيعوا مفاهيم الهدى في البلاد والعباد، «**ومن دلَّ على خير فله مثل أجر فاعله**» [رواه مسلم].

ولا يظن ظان أنَّ هذه الدعوة أشبه بالدعوة إلى القشور، فنحن لا نتبرم بإيضاح سُنَّة مهملة، حتَّى وإن كانت مستحبة، فضلاً عن أن تكون بهذا القدر الذي بيّناه، وفي الوقت ذاته ندرك أنَّ التهاون في المستحبات يجر إلى التهاون في الواجبات، وشأن من علت همّته أن يهتم بالواجب والمستحب في العلم والعمل والدعوة إلى الله، ولا نقبل تقسيم الدين إلى قشر ولباب ﴿ **ذَلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى الْقُلُوبِ** (٣٢) ﴾، والقشرة لابد منها لحفظ الثمرة، إذْ التفاحة تفسد إذا نُزعت قشرتها.

فاحرص على اغتنام مواسم الفضل كالأشهر الحرم، وشهر شعبان ورمضان، ويوم عرفة وعاشوراء وأيام العيدين والتشريق.. وتقرَّب فيها إلى الله بكل طاعة يُحبها، واحذر من الابتداع كالاحتفال بالمولد النبوي والهجرة وذكرى الإسراء والمعراج..

وأحسن المسير إلى ربك، واعلم أنَّ السَّنَةَ شجرة والشهور فروعها، والأيام أغصانها، والساعة أوراقها، والأنفاس ثمرها، فمن كانت أنفاسه في طاعة ، فثمرة شجرته طيبة، ومن كانت في معصية فثمرته حنظل، وإنما يكون الجذاذ يوم المعاد، فعند ذلك يتبيّن حلو الثمار من مرها، كما ذكر ابن القيم - رحمه الله - .

والكل مسافر في هذه الدار إلى ربه، ومدة سفرك عمرك، والأيام والليالي مراحل، فالعاقل لا يزال مهتماً بقطع المراحل فيما يقربه إلى الله ليجد ما قدم مُحضراً، فكن أنت ذلك الرجل، وإن وفقت وسُددت فقل: ﴿ **وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ (٨٨)** ﴾ [هود : ٨٨] .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.